كيميائي الغوطة: كان البنتاغون يعلم مسبقا

الكاتب : صبحي حديدي

التاريخ : 24 نوفمبر 2013 م

المشاهدات : 7750

قبل ثلاثة أيام نشرت صحيفة 'وول ستريت جورنال' الأمريكية تقريراً بالغ الأهمية، حول الهجمة الكيميائية التي شنّها النظام السوري على الغوطتَين الشرقية والغربية، في الساعات الأولى من فجر 21 آب (أغسطس) الماضي؛ وقد وقّع التقرير ثلاثة من خيرة أعضاء الفريق الذي يغطّي الشأن السوري: آدم إنتوس، نور ملص، وريما أبوشقرة.

الخلاصة، التي تتكىء على شبكة من التفاصيل المترابطة والمتقاطعة، تفيد التالي:

كانت أجهزة الرصد الاستخباراتي الأمريكية قد سجّلت مجموعة الاتصالات التي أجرتها وحدات النظام العسكرية، عبر مختلف شبكات القيادة والتحكّم، قبيل تنفيذ الضربة الكيميائية؛

لكنّ المحتوى لم يُترجم إلى اللغة الإنكليزية على نحو فوري، إلى أنْ ظهرت آثار الهجمة، وبدأت مشاهد الضحايا تتعاقب عبر أشرطة الفيديو التي بثتها أطراف المعارضة السورية.

التفصيل الأوّل الحاسم، الذي يسوقه التقرير، يقول إنّ الاجهزة الأمريكية أخذت ترصد علامات جلية منذرة بما سيقع، خلال اتصالات النظام العسكرية منذ يوم 18 آب، حين كانت وحدة خاصة، معنية بالسلاح الكيميائي، قد تلقت الأمر بالتحرك نحو موقع أقرب إلى خطوط المواجهة مع كتائب الجيش الحرّ، كما بدأت فعلياً في مزج السموم.

وطيلة يومين، يتابع التقرير، تواصلت الإشارات التحذيرية، حتى صدرت تلك الرسائل المشفرة التي تأمر وحدة النخبة بإخراج 'الكبيرة'، وارتداء أقنعة الغاز.

ومع ذلك فقد امتنعت الأجهزة الأمريكية عن ترجمة هذا كلّه إلى الإنكليزية، وإبلاغ القادة المباشرين بما يعتزم النظام القيام به، حتى الساعة 2.30 صباحاً، يوم 21 آب، حين نُفّذت الرشقة الأولى من الصواريخ المحمّلة بالعبوات الكيميائية.

التفصيل الثاني في التقرير هو أنّ الاتصالات أخذت تنهال على بشار الأسد من حلفائه، روسيا وإيران و'حزب الله'، خاصة وأنّ مقاتلي الحليف الأخير كانوا في مرمى النيران، وأنّ الأطراف هذه ـ أسوة بالولايات المتحدة وإسرائيل، بالطبع ـ كانوا على علم بسوابق النظام في استخدام الأسلحة الكيميائية.

وهذه الأجهزة، وسواها من استخبارات غربية وشرق ـ أوسطية، رصدت حالة واسعة من الارتباك في صفوف القشرة العليا من القادة العسكريين الملتفين حول النظام، وأنّ بعضهم خشي أن تكون الهجمة من فعل الجيش الحرّ، وأبرق بالفعل يسأل عن الحيثيات!

تفصيل ثالث، في التقرير، يشير إلى أنّ الأجهزة الأمريكية كانت قد جمعت، منذ شهر تموز (يوليو) الماضي، معلومات وبراهين مادية على لجوء النظام إلى استخدام الأسلحة الكيميائية، في مناسبات متفرقة، وإنْ على نطاق محدود؛ وأنّ دنيس ماكدونو، نائب مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض، أبلغ مساعديه بضرورة كتم هذه المعلومات، لكي لا تحرج الإدارة بصدد 'الخط الأحمر' الشهير الذي رسمه الرئيس الأمريكي باراك أوباما.

قبلئذ، في كانون الأوّل (ديسمبر) العام الماضي، كانت الأجهزة الأمريكية قد رصدت اتصالاً بين ضباط النظام، تطرّق إلى احتمال استخدام الأسلحة الكيميائية عبر القصف الجوي، وأنّ البيت الأبيض أبلغ روسيا بمضمون ذلك الرصد، فبادرت موسكو إلى مفاتحة طهران، لكي تضغط بدورها على الأسد كي يصرف النظر عن هذا الخيار.

تفصيل رابع يخصّ شخصية العميد بسام حسن، الضابط البارز في 'الحرس الجمهوري'، والذي يشير تقرير 'وول ستريت جورنال'، استناداً إلى معطيات الاستخبارات الأمريكية والفرنسية، إلى أنه المفوّض مباشرة من بشار الأسد، حول استخدام الأسلحة الكيميائية.

وما لم يصدر أمر كهذا عن الأسد نفسه، أو شقيقه ماهر، فإنّ العميد حسن قد يكون بالفعل (في تقديري شخصياً، هذه المرّة) الضابط الأكثر تمتعاً بثقة آل الأسد في اتخاذ قرارات ميدانية حاسمة، حول معارك ريف دمشق إجمالاً، وجولات الكرّ والفرّ في الغوطة تحديداً.

وثمة تقديرات تشير إلى أنّ حسن هو وريث العميد محمد سليمان، الذي اغتيل في استراحته الخاصة على شواطىء طرطوس، صيف 2008؛ ليس في مسائل التسليح الخاصة والحساسة وحدها، بل كذلك في التنسيق مع الجنرال قاسم سليماني، قائد 'فيلق القدس? الإيراني، حول وجود عناصر 'الحرس الثوري' ومقاتلي 'حزب الله' على الأرض السورية.

كان البنتاغون يعلم مسبقاً، إذاً، ويصعب القول إنه لم يسكت على مذبحة وشيكة، كفيلة بالانقلاب إلى صيغة إبادة جماعية؛ تماماً كما حدث بعدئذ، باعترافات مسؤولي البيت الأبيض أنفسهم، ابتداءً من أوباما نفسه، وانتهاءً بوزير خارجيته جون كيري، مروراً بمستشارته للأمن القومي سوزان رايس.

الفارق أنّ ضجيج الإدارة وعجيجها لم يصطخب إلا خلال مراحل التحضير للضربة العسكرية ضدّ نظام الأسد، وسرعان ما خفت وهمد وخمد حين استدار أوباما على عقبيه وصرف النظر. وهذا فارق مألوف في سياسات شاغلي البيت الأبيض تجاه السكوت عن مباذل الطغاة عموماً، أو غضّ البصر عن الانتهاكات الفظيعة والجرائم والمذابح.

ولا عزاء لأولئك السوريين، 'المعارضين' منهم بصفة خاصة، ممّن علّقوا الآمال على المنقذ الأمريكي، وأخذوا علينا أننا نناهض رهن الانتفاضة بأيّ محور خارجي، عربي أو أقليمي، وغربي أو شرقي؛ وأننا رفضنا الضربة الأمريكية، ليس إشفاقاً على شعبنا من ويلات إضافية فقط، بل لأنّ ما وراء الأكمة الأمريكية، تجاه شعوبنا عموماً، لم يعد خافياً إلا على ساذج، أو مرتهِن الإرادة، أو تابع.

لا عزاء؛ واللهم لا شماتة، أيضاً!

القدس العربي

المصادر: